لوحة وطن

قـرر أن يرسم لوحـة للوطن.

أحضر فرشـاته وألوانه. وقف أمام اللوحة البيضاء سـاعات طويلة، يغمض عينيه تارة، وينظر إليها تارة أخرى.

أطلق العنان لبصيرته.

حاول أن يسـتحضر صوت أبيه، الذي كان يحدثه عن قريته الخضراء ووديانها الجميلة الممتلئة بالشلالات وينابيع المياه الصافية... عن قطرات النـدى المتسـاقطة من ورق الأشـجار وكأنهـا حبات مـن اللؤلؤ... عن قلوب الناس الصافية... عن فتيات الريف الحِسـان... عن بيوت الطين

القديمة، ونوافذها المطرزة بالقمريات والألوان الزاهية...

تذكّـر بعض الألحان والأغاني القديمة التي كان يغنيها له والده، وبدأ يدندن بها ويرسم.

مـزج الألوان. أغمض عينيـه طويلاً؛ حاول أن يسـتحضر وطنه بين يديه؛ أن يتلمس دفء الشـمس ورائحة القهوة؛ أن يسمع صوت الراعي عبر أنـين الناي يعزف حزنه، يسـتعطف مَنْ بسـهول الـوادي، وقلوب النسوة، كي تأتي محبوبته الخائفة إليه.

حـاول أن تتملكه غيمة آب، كي تنثره رذاذاً على قريته المنسـية. مزج الألوان بروحه... وبقلبه.

لكن ملامح لوحته لم تظهر بعد.

كان بحاجة إلى مزيد من العطش والحنين؛ إلى قدمين قويتين تتجذران في الأرض، ويد سمراء مُتخشِّنة، تحفر بأظفارها الصخور وتتسلق الروابي والتلال؛ إلى رئتين واسعتين تستنشقان الهواء العليل.

اسـتمر في الرسم. صعد بإحساسه عالياً، تجاوز القمم، كاد أن يلمس نجم "سهيل".

لكنه لم يسـتطع الصمود. هوى سريعاً إلى الأرض. الفرشاة والذاكرة

سقطتا معاً. رُدّ إليه بصره. نظر إلى اللوحة.

لم يجد سوى شوارع مزدحمة، ومطارات، وأبراج عالية، ومدن.